

# خليل تقي الدين

## استيقظ المارد العربي

هزيمة ٥ حزيران لسعت المارد العربي النائم فتنبه ، وتمطى ، وتساءب ست سنوات - هنيهة في عمر الزمان - ثم هب كالاعصار في ٦ اكتوبر وانتصب بجبروته وقوته يحطم العدو ويدمره ولا يسرك له مجالا لالتقاط أنفاسه .

خرافة الجيش الذي لا يقهر ، ولها اكثر من سابقة في التاريخ ، قضى عليها ابطال العرب الذين عبروا القناة ، وتوغلوا في سيناء ، وشقوا طريقهم بالصدور والحديد والنار في مرتفعات الجولان .

ونسور العرب جعلوا من السماء ميدانا للبطولات ، يتبارى مع ميدان الارض في البسالة ، والاستهتار بالموت ، والتصميم على النصر ومحو العار .

ست سنوات تمادت خلالها اسرائيل في جنون العظمة ، وغنوفان النصر لنقتل في نفوس العرب كل أمل بالانبعث .

الحرب النفسية التي شنها العدو على العرب كانت أقسى ، وأشد هولاً من حرب المدافع ، والقنابل والطائرات .

أرادت اسرائيل ان تقنعنا بان لا أمل لنا بمقاتلتها ولا باستعادة الارض المفتصة ، وان كل آمالنا تنحصر في ان لا نفقد أرضاً جديدة، وبلدانا اخرى .

فجاء ٦ اكتوبر يحمل الى العرب مع الانتصار الذي فاجأ العدو ما قد يكون أهم من الانتصار نفسه . حمل هذا اليوم المبارك ثقة النفوس العربية من المحيط السى الخليج بأنفسهم ، وبقاداتهم ، وبالقاتلين الابطال الذين يقاثلون بضراوة ، وشجاعة ، وتصميم فرضت اعجاب العالم كله واحترامه الذي يتردد صده من قطر الى قطر .

وانهارت خرافة اسرائيل . حتى ومن وراء اسرائيل من دول كبيرة وصغيرة . وادرك العالم ان العرب يحسارون ، وانهم يقاثلون . يموتون ويميتون . لقد حلت الافعال محل الاقوال . وغطى ضجيج المعارك ، واصوات انفجار المدافع والقنابل الاهازيج ، والاناشيد ، والاغاني التي كانت كل سلاحنا ، وكل شغلنا ، وكل حربنا . واليوم تعرف الجيوش التي تخوض المعارك ان الشعوب تساندها وتدعمها دعماً كاملاً لا نقص فيه ولا تردد .

ولعل هذا العامل النفسي أهم ما في هذه الحرب . وسيكون هو الحاسم في تحقيق النصر !

الانوار ١٠ تشرين الاول

## على نفسها جنت ! . .

اسرائيل هي التي عبات العرب ، وشحنت رؤوسهم ، وصدورهم بالكرهية والبغضاء . بالحق الاسود . بالتصميم الصخري الاصم على غسل الاهانة ، ومحو العار ، واسترجاع المنهوب والمسروق من اراضيهم ، واعادة الحرمات الى أماكنهم المقدسة التي حولها العدو الى خمارات ، ومرايع ليلية ، ومراقص لشبابها المستهتر وغاياتها المرفهات عن الشباب .

اسرائيل ، بعد ٥ حزيران ، هي التي نشرت ، وقالت ، واذاغت

انها مرغت جبين العرب بالتراب ، وانها بلد المسلم ، والعقل ، والتقية ، البلد المتمن الوحيد في منقطة الجهل ، والابسل ، والتخلف !

اسرائيل هي التي كذبت على المسالم بأبواقها المستأجرة ، وصحافتها المشتراة واذاعاتهم العميلة ، وتصريحات قادتها وحكامها حين زعمت انها دولة مسالمة ، وانها حمل وديع محاط بالذئاب ، في الوقت الذي كانت طائراتها الحربية تسقط طائرات العرب المدنية وتقتل المسافرين الابرياء . في الوقت الذي كانت تتوغل داخل مصر وتقصف المستشفيات والمدارس التي تعج بالطلاب . وما هي تصيد الجريمة الهمجية وتكررها في دمشق ، فسقط المدنيون الابرياء ضحايا قصف جوي وحشي لا مبرر له .

قال وزير خارجية فرنسا امس للصحفيين الذين كانوا يسألونه رايه في الحرب : ان العرب لا يحاربون للحصول على مكاسب ، بل لاستعادة ما أخذ منهم بالقوة . وأضاف : هل يعتبر عدوانا ان يسود كل منكم الى بيته ؟

لقد فجرت غطرسة اسرائيل السدود النفسية التي احتوت العرب طوال ست سنوات ، بل طوال ربع قرن .

وتدفق السيل . وكلما مر يوم ، بل انقضت ساعة ، تفجرت سدود جديدة كانت تخزن الطاقات في الارض العربية ، وفي الصدور العربية ، وازداد السيل قوة واندفاعا وجرف في طريقه كل عقبة ، ودمر كل قلعة من قلاع العدو .

لقد جنت اسرائيل على نفسها بعد أن مارست طويلا مهنة الجناية على الآخرين .

وكثيرا ما يبلغ المجرم في التلهي بالقنبلة التي يعدها لعدوه ، وفي تقليها ، والمفاخرة والتباهي بها ، فتنفجر بين يديه وتزقه تمزيقا !!

١١ تشرين الاول

الانوار

## حرب (( الفجران )) !

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ « طحلونا » بحرب الايام الستة . أطلقوا عليها هذا الاسم مدفوعين بالفطرسة التي درجوا عليها ، للدلالة على السرعة التي الحقوا فيها الهزيمة بالعرب . أبطال مصر ، وأبطال سوريا ، وكل مقاتل عربي يقاثل معهم اليوم ، غسلوا عار الايام الستة في مياه القناة ، ودفنوه في مرتفعات الجولان .

وها هي حرب العرب ، حربنا ، تطوي يومها السادس وتساها لان جنود العرب لا ينظرون الى الوراء ، بل يتطلعون اليوم الى الامام ، والى العلاء .

الى الامام . الى ارضهم المنهوبة ، المفتصة يحردونها شبرا شبرا مهما طال أمد التحرير .

الى العلاء حيث نسور العرب يحطمون طائرات العدو فتنساقط كالذباب .

هل أنا الذي يقول هذا ؟ كلا . كلا . هذا الكلام ورد في الصحيفة الفرنسية الكبرى « لوموند » ، اذ قال معلقها العسكري في عدد أمس بالحرف الواحد : « ان أجهزة الصواريخ والمدفعية الثقيلة العربية تبدو وكأنها حاجز من لهب ترتطم به الطائرات الاسرائيلية وتسقط كالفراشات حول المصابيح » .

وأشارت « لوموند » الى قول الخبراء العسكريين : « ان اختراق

هذا الحاجز يعني التضحية بسبع طائرات قبل ان تصل الثامنسة الى هدفها» ..

أول من أمس صاح « تكواه » مندوب إسرائيل في مجلس الامن : « لقد هاجمنا العرب في يوم عيدنا المقدس ، عيد الغفران » . ومنذ تلك الدقيقة بدأت صحف العالم تسمي الحرب الدائرة رحاها اليوم « حرب الغفران » . الغفران الذي تستجديه اسرائيل من الله . وبين حرب الايام الستة وحرب الغفران فرق كبير .

لان الاسرائيليين لو ظلوا يستغفرون الله طول حياتهم لما غفر لهم جرائمهم ، واعداءاتهم ، وتقتيلهم النساء ، والعجزة ، والاطفال الابرياء دون ما سبب او مبرر كما جرى ويجري في بور سعيد ودمشق وحمص وطرطوس اليوم وما قبل ذلك منذ ثلاثين سنة الى الآن وفي كل مكان من الارض العربية .

١٣ تشرين الاول

الانوار

## ... وسلاح النفط أيضا

اطلقت الرصاصة الاولى في معركة النفط العربي فانفجر صداما في أرجاء العالم كله ، وكان دويها عظيما .

ويمكنني الآن ، دون ان أنكث بوعد أو أخون عهدا قطعته على نفسي ، ان أذيع سرا أوتمنت عليه ، وكنمته مدة سبعة وثماتين يوما ، منذ ١٩ تموز الماضي الى هذه الدقيقة التي اكتب فيها هذه السطور . ففي ذلك اليوم - ١٩ تموز ١٩٧٣ - كنت في الطائف ، المقرب الصيفي للملك وحكومته ، في فندق « العزيزية » . وكنت أعرف انني سأتشرف بمقابلة الملك في الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم ، فقد أبلغتني الوعد « التشريعات الملكية » .

وعند الفجر استيقظت على صوت المؤذن : الله أكبر ! الله أكبر ! فنهضت ولبست ثيابي ، ونزلت الى بهو الفندق . فرأيت أحمد ، سائق السيارة الرسمية الموضوعة تحت تصرفي ، يصلي مع رجليين آخرين . فلم أعكر عليهم صفو الصلاة . حتى اذا فرغوا أشرت على أحمد ان يتبعني الى السيارة . وصعد اليها وصعدت . ثم قلت له : تذهب مسافة ساعة الى الصحراء ، على طريق « الرياض » .

وفي الصحراء تجلجت ورحلت أمشي واملأ صدري بهوائها النقي المنعش . وأدير نظري في هذا المنبسط من الارض الذي يبدو وكأنه لا نهاية له ، كالسماوات التي تلوها والتي لا نهاية لها . وصار رأسي نهبا للأفكار ، وصدري خلية للمشاعر .

لكن فكرة واحدة طفت علي ، وملكت لبي . من هذه البطاح خرج النبي العربي الكريم . لقد اخترقت السيارة بي عشية أمس ، وانا في طريقي من جدة الى الطائف ، مكة المكرمة .

لم أتبرك بزيارة الكعبة المشرفة هذه المرة . لكن قلبي هفا اليها واشتد حفقانه حين كان السائق أحمد يقول لي ، وهو يحسب انسي لا أعرف : هذه « منى » ، وهذه عرفات ، وهذا ... وهذا ... من هذه الارض المقدسة انتشر الاسلام ، وحقق المعجزات ، وأبدع الفنون ، واستوى على ذروة الفكر والفلسفة ، وكان هديا للمهتدين ، ومثلا في السماح ، والحق ، والعدالة ، والخير .

من هنا ... الى ابواب الصين ! وبعد أربعة عشر قرنا تهزم هذه الامة العربية عصابة من شذاذ الارض وفدوا الى فلسطين من كل قطر على مراكب من حقد ، وسفن من طفيان ، وطائرات من كراهية وبغضاء .

كيف حدث ذلك ؟ وكيف يمكن ان يكون ما حدث حقيقة لا وهما من الأوهام ؟

كلما اسعدني الحظ ومثلت في مجلس الملك فيصل تهيبت ، وتملكني

شعور قوي هو مزيج من الرهبة والاحترام والغبطة والاعتزاز . لا أدري كيف قلت له : ان حديث جلالتك للصحافة الاميركية عن تمادي اميركا في مساعدة اسرائيل وانها اذا استمرت في سياستها هذه فستعيد النظر في سياستك البترولية ، ان هذا الحديث كان له في العالم دوي عظيم .

استوى فيصل في مجلسه وقال :

أمس أدليت بحدث الى محطة « ن. بي. سي. » التلفزيونية الاميركية عن البترول . لقد انتقلنا الى التحذير . وسننتقل من التحذير الى الانذار .

وأضاف الملك وانا أسمع بأذني وعيني وقلبي وكياني جميعا كل كلمة من كلماته : ان اسرائيل قد طفت وبغت وتكبرت وتجبرت . انها انتهكت أرضنا ، ودنست مقدساتنا ، وقتلت ، وجنت ، والعالم يتفرج عليها ولا يقول شيئا . واميركا تساعدها . ان الله سبحانه وتعالى قد امرنا بالجهاد في سبيله جل جلاله . ونحن مؤتمنون على الاماكن الاسلامية المقدسة .

وصمت الملك قليلا ، ثم ارتفع صوته ، لكنه لم يخرج عن هدوئه ووقاره الشهيرين وقال : لقد عيل صبرنا ..

واتهى كلامه بقوله : واذا عزمتم فتكولوا ..

✱ ✱ ✱

أدركت ، منذ تلك الساعة ، ان في الجو شيئا . انتابني احساس عجيب يشبه حدس النساء ، او الشعور بأمر آت لا ريب فيه . وأقسمت بيني وبين نفسي على ان لا أبوح بشيء . وصعد فيصل تحذيره ، الى انذار بقطع العلاقات مع الدولة التي تساعد اسرائيل على تقتيل العرب . ثم تالت الاحداث ، سريعة ، قاطعة حاسمة . فتصالح العرب بعضهم مع بعض .

وما كان حلما اصبح حقيقة . ورؤوسنا التي كانت مطاطنة رفعها الى السماء أبطل العرب المقاتلون في سيناء ، وفي الجولان .

هذه الحرب هي حرب كل العرب . لن يبقى عربي خارج المعركة . لان هذه ، لا غيرها ، هي معركة الحياة والموت .

وغدا ، حين يجتمع في الكويت ممثلو بلدان النفط العربي ، سيضيفون باذن الله الى الاسلحة الماضية التي يحارب بها العرب عدوهم سلاح النفط ، وهو لا يقل مضاء وأهمية وفتكا عن المدفع ، والطائرة والصاروخ .

١٦ تشرين الأول

الانوار

## تواضع المنتصر

اصفيت بكل جوارحي الى خطبة القائد الرئيس أنور السادات ، وكنت امام زوجتي وخادمة البيت أهل مع المهللين ، وأصفق مع المصفيين .

تبار عجيب وصلني بقاعة مجلس الامة في القاهرة ، وجدتني ، والراديو في حضني ، متمسكا به ، أخاف عليه ، بل على نفسي ، ان يفلت مني ، او يصاب بسوء فيسكت ، وتفلت مني كلمة من كلمات الرئيس .

الرئيس الذي وهبني الله ما حرم منه الكثيرين : شرف معرفته ، والتفرب منه ، والاستماع الى حديثه ، والتحدث اليه مدى ثلاث سنوات ، مرة او مرتين في الشهر على الاقل ، يوم كنت أعمل في مصر .

أمس واليوم ، بل منذ اللحظة التي انهي فيها الرئيس السادات خطابه ، أصبح الخطاب شغل العالم الشاغل . طفى صوت القوائد المنتصر حتى على اصوات المعارك في سيناء ، وفي الجولان .

راى الناس فيه شيئا جديدا . لم يالفوه ، ولم يروا مثله من قبل .

رأوا وسمعوا قائدا بطلا منتصرا تسير قواته الباسلة ، وقوات حليفه ورفيقه البطل الاسد ، من نصر الى نصر ، رأوه وسمعوه يتكلم من مركز القوة ، وذروة الانتصار ، بلغة لا عهد لهم بها على لسان الاقوياء ، لغة التواضع والابتعاد عن المفاخرة والكبرياء ، لغة الانسان المؤمن بربه ، الواثق من نفسه ، ومن ابناؤه المقاتلين ، ومن شعبه .

بل اكثر من ذلك ، اني اعرف منذ الآن انه سيراك حبر كثير ، وتكتب مقالات ، وتؤلف مجلدات حول اسم انور السادات ، المارد العربي الذي اطلعته ارض مصر الخالدة ، والارض العربية المعطاء ، والذي عاهد الله ، وعاهد امته على ان يرد للعرب كرامتهم ، ويرفع رؤوسهم ، ويجعل راياتهم المنكسة شامخة الهامات ، خفاقة في السماء . وقد فعل .

سيكتب الكثيرون عن الرئيس ، والزعيم ، والمخطط ، والقائد . سيروون قصة العذاب النفسي الذي تحمله صابرا ، راضيا ، طوال ثلاث سنوات . وفضل ، كما قال علي امين أمس ، احتمال الظلم على ان يكشف أوراقه للعدو .

أما أنا فأريد ان أقول بضع كلمات عن انور السادات الانسان ، كما شاعت العناية الالهية لي ، وشاء حظي ، ان اعرفه . لعل أولى صفاته ، وهي كثيرة جدا ، ايمانه بالله ، ايمان عميق ، صادق ، حار ، ايمان الورع ، الناسك ، المتعبد ، المتوجه دائما وأبدا اليه تعالى بقلبه وعاطفته وعقله واتكاله .

في خطبته الرائعة ظهر الثلاثاء كان الرئيس السادات ينهي اكثر مقاطع الخطبة بقوله : « واحمد الله » .

وتذكرت وأنا اسمعه . تذكرت زيارات الناس له في داره في القاهرة عشية كل يوم . وكنت اكثر الاحيان بين الزائرين ، وبينما هو جالس في صدر البهو والزائرون حوله وبين يديه ، يرتشفون بأذانهم وعقولهم ، وقلوبهم ، كلامه الهادي الرصين ، اذا به يسكت ونسكت جميعا . لقد ارتفع من احدى زوايا البهو صوت قارئ رخم يرسل آيات الله البينات . انه شيخ زائر وجد نفسه في بيت انور السادات فعمل بما يرضي صاحب البيت ويطيب له .

كان ذلك يجري عفوا . وكان الناس يعرفون ان بيت انور السادات هو أحد بيوت الله التي لا عد لها ولا حصر . وفي بيوت الله تتلى الآيات .

وبعض صفاته التواضع . انور السادات كاتب كبير وأديب ينهل من شبع علم ومعرفة لا ينضب . وهو سهل العبارة ، يؤثر السهل المتين على الزخرف المنمق . ولست اشك في ان سهولة عباراته ، على قوتها ، نابعة من تواضعه . لقد سمعته الملايين يتحدثون عن تحقيق المعجزات متواريا وراءها ، مجردا ألفاظه من كل تفخيم ، مرسلا شكره ، وشكر الامة الى جميع من استحقوا الشكر ، ناسيا نفسه .

ان العظيم هو الذي لا يحتاج الى الكلمات لتسجيل عظمته ، لان أفعاله تقوم مقامها ، وتنوب عنها . وبعض صفاته ... رباه ! كيف لي ان أقول في سطور كل ما اعرفه عما انطوت عليه نفس القائد الرئيس وعقله ، وصدوره ، من وطنية ، وحكمة ، وشجاعة ، وتسامح ، وكرم ، وجلد ، وصبر ، وفروسية . كيف لهذا القلم ان يصف في كلمات قليلة قلعة انسانية اسمها انور السادات ؟!

١٨ تشرين الاول

الانوار

## الكلمة والرصاصة

الكاتب المصري الكبير توفيق الحكيم ، أحد أكبر عباقرة الفكر العربي في كل عصر ومصر ، طلب من حكومته « عملا يدويا » يساهم به

في المعركة لان الكلمة ، كما قال ، لم تعد تكفي .

واسمح لنفسي ، وليسمح لي استاذنا الكبير ، بان اخالفه في الراي .

المعركة هي كل يتألف من اجزاء تختلف اهميتها ، وفمايتها . المعركة مقاتل وسلاح . تخطيط وتنفيذ . استبسال وشجاعة واستهتار بالموت .

المعركة قيادة حكيمة . وزن . وتحسب . تامر بالهجوم ، وبالانسحاب . وقد يكون في الانسحاب احيانا من الروعة والعبقرية العسكرية ما في الهجوم والافتحام .

وللمعركة اكثر من ميدان . ميدانها الاول الجبهة . ومن ميادينها المؤخرة العسكرية . ومؤخرة المؤخرة ، وهي الشعب .

الشعب الصامد وراء أبطاله . الشعب الذي يسعد ببعض الحرمان ، بل بكل حرمان ، ليوفر للابطال كل راحة ، وكل حاجة .

ومن ميادينها السماء . تتلاحق فيها الطائرات ، وتتصارع ، وتتهاوى . وقد رأينا طائرات العدو تتحطم وتنفجر تحت ضربات الطيارين العرب ، وتتساقط كالفراشات على حد تعبير المعلقين الاجانب . ومن ميادينها الماء من بحور وأنهار واقفية .

وقد دخلت قناة السويس وعملية عبورها المذهلة ، منذ اليوم ، كتب الاكاديميات العسكرية واحتلت مكانها في تاريخ الحروب بجانب اوسترليتز ، وستالينغراد ، والعلمين .

وكما تكثر ميادين المعركة وتختلف ، تكثر اسلحتها وتختلف . البنادق ، والمدافع ، والدبابات ، والصواريخ ، كلها اسلحة . ويظل الجندي المقاتل ، يظل الانسان هو السلاح الاعظم ، لانه يحملها ، ويستخدمها ، ويوجهها وينتصر معها ، وبها ، ويحطم عدوه . او يموت .

الحرب « كل » يتألف من اجزاء . والكلمة جزء من هذه الاجزاء . سلاح من الاسلحة .

هذا ال « كل » الضخم ، الهائل ، الخيف الذي يملك هذه الميادين ، وهذه الاسلحة يملك ميدانا آخر ، وسلاحا اخر .

يملك الكلمة ، من نثر وشعر . وللکلمة ميدان فسيح هو عقول العالم ، وقلوبهم ، ومشاعرهم في انحاء العالم كله .

وقد اتسع الميدان بعد ان عمت الصحف ، والراديو ، والتلفزيون العالم ، ودخلت كل بيت ، وطرقت كل اذن ، وظهرت امام كل عين . والكلمة ، تخرج من شق كاتب مبدع من طراز توفيق الحكيم ، هي سلاح ماض ، وأي مضاء !

في موسكو ، عندما ذهبت اليها في العام ١٩٤٦ ، على اثر الحرب العالمية الثانية ، سمعت ستالين في الاذاعة يقول عن الكاتب الكبير ايليا اهرنبورغ ، انه اسهم في ربح الحرب وسحق العدو . واهرنبورغ لم يحمل البندقية ولا اطلق رصاصة . بل شرع وعبا شعبه بشحنات هائلة من الكراهية والحقد على العدو الفتصب ، المعتدي . وقاتل بمقالاته ، وقصصه ، واخبار المعارك ، بمثل الضراوة التي كان يقاثل بها جنود بلاده الغازي البغيض .

فيا سيدي توفيق الحكيم . آتت لا تقل عبقرية عن أي كاتب غربي ، وشرقي . فلا يحزنك ان سنك لم تعد تسمح لك بحمل البندقية واطلاق الرصاص على العدو .

سلاحك القلم . وميدانك رحب ، فسيح . ميدانك العالم وعقول الناس وقلوبهم . فانزل الى الساحة .

وغدا ، عندما يتحقق النصر ، وقد بدت تباشيره ، سيقول عنك بطل مصر ، الرئيس انور السادات ، ما قاله ستالين عن اهرنبورغ .

٢٤ تشرين الاول

الانوار